

برنامج أنوار كاشفة

سفر الأمثال

الحلقة الثانية والأربعون

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كنا بدأنا قبل فترة بدراسة سفر الأمثال للملك سليمان. وعلمنا أن هدف سفر الأمثال هو تقديم نصائح عملية على شكل أمثال تحمل حقائق أخلاقية، لكي تعلم الناس كيف يحيون حياة نقيّة وصادقة.

تأملنا في اللقاء السابق بالأمثال التي تحدثت عن نوازع الأنانية وخطرها، ومراعاة الشرير في أعماله الفاسدة. وأن الملجأ الحقيقي للإنسان هو الرب الله، حيث يجد الأمان والاطمئنان، بينما الثروة تخدع الإنسان ولا تتجّيه من عواصف الحياة.

هل تريد مستمعي أن تحصل على الكرامة والاحترام من قبل الآخرين؟ هناك وسيلة عملية تحدث عنها سفر الأمثال ألا وهي التواضع. فقد كتب سليمان الحكيم هذا المثل قائلاً: "قبل الكسر يتكبر الإنسان وقبل الكرامة التواضع". (أمثال ١٨: ١٢) إن التواضع هو من الصفات الهامة التي يجب أن نتحلّى بها، والتي تجعل الآخرين يحترمونا ويعترفون بمواهبنا وقدراتنا. وعلى العكس من صفة التواضع تأتي صفة الكبرياء، فعندما نتكبر وننتفخ على الآخرين، فهناك خطر كبير أن نسقط ونتحطم، وعندها لا ينفع الندم.

ولقد تحدّث الرسول بطرس من رسل المسيحية الأوائل عن أهمية التواضع فكتب قائلاً: "وكونوا جميعاً خاضعين لبعضكم لبعض وتسربلوا بالتواضع لأن الله يقاوم المستكبرين وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة. فتواضعوا تحت يد الله القوية لكي يرفعكم في حينه". (رسالة بطرس الأولى ٥: ٦) هل تعلم مستمعي أن التواضع يبدأ بأن تتواضع أمام الله؟ فهو الذي يجب أن نتواضع أمامه أولاً جميعاً كبشر. ثم عليك أن تتواضع أمام الآخرين من زملائك وأفراد عائلتك، إذ هذه صفة جميلة علينا أن نتحلّى بها جميعاً وبشكل دائم.

لكن كيف بإمكاننا الحصول على صفة التواضع؟ أو أن نتسرّب أي نلبس التواضع؟ عندما نأتي إلى الله معترفين أننا خطاة، ونتوب إليه تعالى، نكون قد خطونا الخطوة الأولى نحو التواضع. وعندها يغفر الله ذنوبنا، ويحلّينا بصفة التواضع التي لا بدّ أن تظهر تجاه الآخرين.

هل تعلم مستمعي مدى خطورة تحطّم نفسية الإنسان من الداخل؟ حيث يعيش محطّم النفس بلا أمل ولا رجاء نحو المستقبل؟ كتب سليمان الحكيم هذا المثل قائلاً: "روح الإنسان تحتمل مرضه. أما الروح المنكسرة فمَن يحملها". (أمثال ١٨: ١٤) إن الإنسان يستطيع أن يتحمّل ويصبر على مرضه الجسدي، لكن من الصعب عليه جداً أن يتحمّل أوجاعه النفسية وتحطّم نفسيته. ولهذا من المهم أن نسعى لكي لا تتحطّم نفوسنا، وهذا الأمر لن يحصل إذا كنا قريبين دائماً من مصدر الرجاء الحقيقي الذي هو المخلص المسيح.

ولهذا كتب سليمان الحكيم هذا المثل قائلاً: "قلب الفهيم يقتني معرفة وأذن الحكماء تطلب علماً". (أمثال ١٨: ١٥) إن الفهيم أو الحكيم هو الذي يحاول دائماً أن يسعى نحو المعرفة الحقّة وطلب العلم، إذ فيهما سيني شخصيته ويجنبها المآزق الكثيرة.

هل تعلم مستمعي أنه علينا أن لا نقدم رأياً في نزاع ما بين شخصين، قبل أن نستمع إلى وجهتي النظر؟ إذ علينا أن نفحص كل الآراء والحجج لكي يكون حكمنا صائباً وسليماً. كتب سليمان الحكيم قائلاً: "الأول في دعواه محقّ. فيأتي رفيقه ويفحصه". (أمثال ١٨: ١٧) إن معرفة الحقيقة هو أمر مهم في كل قضية، ولهذا علينا أن نتأكد من الأمور، قبل أن ندلي برأينا. لأن حكمنا إذا كان منصفاً وعادلاً فهو لا بد أن يساعد الآخرين على المصالحة ونسيان الماضي. أما إذا كان خاطئاً فهو سيؤدي إلى المزيد من المتاعب والمشاكل للطرفين المتخاصمين.

هل تعلم مستمعي أن للسان قوة هائلة؟ كتب سليمان الحكيم هذا المثل: "الموت والحياة في يد اللسان وأحباؤه يأكلون ثمره". (أمثال ١٨: ٢١) أجل يكون اللسان في أحيان كثيرة سبباً في تدمير حياتنا وحياة الآخرين أو إنجازها. فلننتبه لكلامنا لأننا سنحصد نتيجته.

ولقد أكّد المخلص المسيح هذه الحقيقة الهامة عندما قال: "ولكن أقول لكم إن كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين. لأنك بكلامك تتبرر وبكلامك تدان". (بشارة متى ١٢: ٣٧) أي أن كلامنا البطال سيديننا نحن، كما أنه سيرتدنا يوم الدين. فهل تراك تنتبه صديقي لما تتلفظ به من كلمات قبيحة وشتائم لا تليق؟ وهل تعلم أن الله كما قال المخلص المسيح سيدينك عن كل كلمة غير صالحة تلفظت بها؟ وهل تدري أن السيطرة على اللسان يحتاج إلى قوة هائلة؟ فمن أين نستمد هذه القوة الهائلة يا ترى؟

ثم كتب سليمان الحكيم هذا المثل: "المكثر الأصحاب يخرب نفسه. ولكن يوجد محبٌ ألزق من الأخ". (أمثال ١٨: ٢٤) وبتعبير آخر من غير الحكمة أن يكون عندنا أصحاب كثيرون، لأن كثرتهم ستؤدي إلى خراب ودمار حياتنا. والسبب لأن كثرة الأصحاب ستجعلنا نضيع بينهم وبين نصائحهم، التي لا بد أن تكون متناقضة في كثير من الأحيان. بينما نحن بحاجة إلى أصدقاء قلائل أوفياء، يرشدوننا بنصائحهم، ويقفوا إلى جانبنا أيام المحن والأزمات. والحقيقة كما قال المثل: أننا بحاجة إلى أكثر من أصدقاء أوفياء، إذ أننا بحاجة إلى محب ألزق أي أقرب منا من أختنا أو أختنا في الجسد. فمن هو هذا المحب يا ترى الذي يكون أقرب لنا من إخوتنا؟

هل تعلم مستمعي أن المخلص المسيح هو المحب الوحيد الألزق أو الأقرب إليك من الأخ؟ لقد تنازل المخلص المسيح من السماء، وأتى إلى عالمنا، ثم مات على الصليب للتكفير عن خطايا كل واحد منا، أي أحبنا حتى الموت. فهل توجد محبة أعظم من هذه؟ إن المخلص المسيح بعد أن أتم عمل الفداء، قام من بين الأموات غالباً منتصراً. وهو الآن حي جالس عن يمين الله الأب في مركز القوة والسلطان. ولهذا يستطيع أن يستمع لصلاتك ويعلم ما تمرُّ به. وهو الوحيد القادر أن يساعدك ويعطيك القوة لكي تسيطر على كلامك وجسدك.

فهل تأتي اليوم إلى المخلص المسيح الذي أحبك ومات من أجل ذنوبك؟ وهل أنت على استعداد لكي تتخذه صديقاً وانياً لك؟ إنه وحده المحب الحقيقي الألزق من الأخ. وهو الوحيد القادر على تحريرك من عبودية الخطية، وجعلك من أولاد الله.